

## فتح بيت المقدس

في سنة ١٤٩٨ يونانية ( ١١٨٧ م ) جمع السلطان صلاح الدين جيشا من مصر وبلاد العرب وسورية واثور واستعد ليقابل الأفرنج ، وفي يوم السبت ٤ تموز أعتقل ملك القدس وكل قواده وحاشيته بعد معركة طاحنة حدثت عند طبرية ، أما قمص طرابلس فقد رفض الاشتراك في المعركة ، وهرب إلى بلده ، وقد قال بعضهم : إنه كان يرغب أن يكون ملكا ، لكن الأفرنج رفضوا ذلك .  
أما أنا فأقول إن انكسارهم صار بإرادة الله لأنه لا يسقط عصفور في الفخ بدون ارادته .

أما صلاح الدين فقد قتل بيده أرناط الشيخ ومائة من الرهبان الداوية ، واستحم بدمائهم ، ثم خرب طبرية وقتل كل ما بها ، ومضى إلى عكا فهرب الزعماء كافة باتجاه البحر وبقي فيها الشعب المسكين فسلموها لصلاح الدين ، وطلبوا الأمان ، ثم توجه إلى قيسارية ويافا والسامرة والناصرية ، وامتلات الدنيا بالأسرى ، ومن الصعب أن يصف الإنسان ما احتمله النصاري من الهزء والسخرية والأزدراء في دمشق وحلب والرها وأمد وماردين والموصل وبقية أصقاع بلاد العرب .

وفي تشرين الأول عام ١٤٩٩ أعطى صلاح الدين الفرنج الذين في عسقلان عهدا واعتق الملك الذي كان معتقلا عنده فسلموه المدينة ، ثم صعد إلى القدس وحاصرها وخرّب جزءا في سورها في ناحية الشمال الشرقي ، فأرسل الأفرنج يطلبون الصلح ، وتم الاتفاق أن يعطوه عن كل شخص عشرة دنانير يخرج سالما ، فخرج منها من استطاع أن يدفع وكانوا الوفا وعشرات الألوف يبكون وينوحون ، أما الذين لم يستطيعوا أن يدفعوا فسيقوا عبيدا ، وقد أعتق صلاح الدين عشرين ألفا من الرجال والنساء ، وأربعة آلاف من الشيوخ

والعجائز ووزع ستة الاف على عساكره ليكونوا عبيدا لهم ، وارسل خمسة الاف إلى مصر ليعملوا ببناء الاسوار ، وترك خمسة الاف في القدس ، لأجل بناء السور والمسجد الأقصى الذي يدعونه قبة الصخرة ، وكان قد بناه العرب حين قدومهم إلى القدس ، وأقروا أن لا يدوسه مسيحي ، كذلك اعطوا كنيسة القيامة للمسيحيين ، وكان يلتئم إليها المسيحيون الذين بقوا عبيدا ويصلون ويبكون .

وحينئذ سعد صلاح الدين إلى مدينة صور الداخلة إلى قلب البحر ، وهدف في تلك الأيام أن أتى من رومية كونت اسمه كونراد ليصلي في القدس ولم يكن يعلم بما جرى ، وقد قام بتقوية الشعب ، وببث الروح المعنوية ، فتابعه الشعب واحتفظ بالمدينة ، ولم يستطع صلاح الدين أن يقهرها ، فتركها ومضى قاصدا صيدا وبيروت وجبيل وتبنين .

وفي سنة ١٥٠٠ أخذ صلاح الدين قلعتي الكرك والشوبك على ساحل البحر الأحمر ، والذي لأجلها صار حربه مع الافرنج .

وفي هذه السنة دخل صلاح الدين إلى ناحية أنطاكية وأخذ بالحرب اللاذقية وجبله وقلعة صهيون وشفر بكاس ودريسال وبغراس .

وفي هذه السنة أيضا صار نزاع في بلاد كبدوكيه بين الابن الأكبر للسلطان قلج أرسلان أمير سبسطيه وبين اختيار الدين الحسن حاجب والده والذي استطاع أن يقلب السلطان على ابنه ، وقد احتشدوا للقتال في بلاد قيسارية ، وصارت معركة قتل فيها أربعة الاف من التركمان الذين ناصروا الابن ، فتفرق الذين اجتمعوا مع ابنه ورجع هو أيضا إلى سبسطيه ، وبعد ذلك أخذ الأمير بهر شاه أمرا من السلطان فأمره وزيره اختيار الدين الحسن ، وصادر كل مقتناه وأرسله مع ابنه وعبيده إلى سبسطيه ، لكن في الطريق هجم عليه التركمان وكان قد أرسلهم ابن السلطان ، فقتلوا اختيار الدين الحسن ، وقتلوا اولاده وعبيده وقطعوه قطعاً قطعاً ، وعلقوه على

رؤوس الرماح وأنخلوه إلى سبسطيه ، وكان ذلك يوم عيد الصليب .

في سنة ١٥٠٠ يونانية سمع هؤلاء الاشقياء اهل شيعة المنافق ابن تمسح فقدموا للحاكم مائة قطعة من الذهب الاحمر ، واخذوا امرا منه بأن يفرض بحد السيف ابن تمسح ، لكن الشعب المؤمن رفضه لانه وضع خلافا لنواميسنا وشرائعنا ، ثم اخذ يرتكب المعاصي والفواحش التي يجب ان لا نكتبها هنا ، لكن علينا ان نشير ان ابن تمسح هذا اتفق مع ابن وهبون ، واتى كلاهما إلى ماردين فكرزوا ابن وهبون بطيركا وابن تمسح مفريانا ( رئيس اساقفة ) واعطيا السلطان الفتي دينار ، واخذوا امرا من الحاكم وصارا يدوران مع الجنود على القرى ويأخذان الارزاق من الشعب ، حينئذ ثار اهل رعية ماردين واخذوا امرا بطردهما من البلاد ، فعادا إلى الموصل لكن اهل البلاد هناك ما لبثوا ان طردوا ابن وهبون أولا ، ثم امسكوا المنافق ابن تمسح وخلصوا عنه ثياب الكهنوت ، ونزعوا عنه كل رتبة ، ثم ارسلوا اساقفة وقسيسا ورهبانا رجالا اشرافا اخذوا مار غريغوريوس المفريان القديس من نصيبين ، ودخلوا معه إلى الموصل ، فقبله الحاكم وعامة الشعب بنعمة الله الذي اصلح بيته ورتبه .

في سنة ١٥٠١ يونانية وقع كثير من الظلم على اساقفتنا فأرسلنا إلى السلطان صلاح الدين جبرائيل رئيس الدير ، وإلى اسقف الافرنج بشأن تمرد ابن تمسح ، ولما وصلوا إلى دمشق وقبل ان يصلوا إلى السلطان في عكا امسكهم بعض الجواسيس ووضعوهم في السجن واخذوا كل ما معهم ، لكن الرب اشفق عليهم فنجوا بواسطة مظفر الدين بن زين الدين امير الرها ، واحضروا من السلطان كتابا قويا واضحا ، ورجعوا فرحين بصلوات سيدنا مار برصوم .

في سنة ١٥٠٢ يونانية مات حاكم اربيل ابن زين الدين فترك اخوه حاكم الرها ، الرها وحران وسميساط ومضى وملك اربيل ونجح هناك وملك .

أما صلاح الدين فقد أعطى هذه البلاد لابن أخيه تقسي الدين ، وكانوا يسموه سلطانا أيضا ، وكان رجلا قاسيا شريفا يبغض المسيحيين والعرب سويه ، وقد زاد ثقل الخراج والضرائب على المسيحيين وعلى المسلمين ، واحتال على الأمراء أولاد بوغوساج الذين في سيبابرك (٥٩) وأخرجهم من قلاعهم ، ومن هناك مضى إلى ميافارقين التي كانت له من قبل ، ثم تابع فأخذ خلاط وملازكرد ، ومن هناك ارتحل ودخل إلى بلاد غلاطيه .

وبقي في بلاد أرمينية خمسة أشهر يسبي وينهب ، وبغير رحمة أو شفقة كان يقتل المسيحيين خاصة ، لكن الرب ضربه هناك فمات فجأة ، وقد عم الارتياح كافة الشعوب ، وكما صار من زمان يوليانوس المنافق ، حينئذ خرج ابنه وعساكره من البلاد واتوا إلى ميافارقين ، ولما تمرد ابنه على صلاح الدين عم أبيه ، أرسل ذلك أخاه المدعو الملك العادل وأخرجه من الرها ومن حران ومن سميرساط وأخذهم لنفسه مع ميافارقين ، وأعطى ذلك حماه وحمص ورد بلاد سيبابرك لأهل بوغوساج وصاروا كما كانوا من قبل تحت حكم قطب الدين حاكم آمد .

وفي سنة ١٥٠٢ يونانية في حزيران انكسفت الشمس وأظلم أكثر من نصف قرصها ، وظهرت الكواكب والقمر حولها . وفي سنة ١٥٠٠ يونانية ملك على ملطية أحد أولاد السلطان قيصر شاه معز الدين .

### الحملة الثالثة

في سنة ١٥٠٠ يونانية خرج ملوك مع عساكر الافرنج وكانوا قد أرسلوا امامهم في البحر شعوب من السن مختلفة ، يفوق عددهم عدد رمل البحر ، وحلوا على عكا ، ولم يكن معهم ملوكهم بل رؤساء كهنتهم وكهنتهم ، وبيعهم التي كانت في خيامهم .

كذلك اجتمع ايضا مع صلاح الدين شعوب كثيرة من

المسلمين ، وقد عسكر الجيشان بالقرب من بعضهما بعضا ، حتى أنهم كانوا يرون بعضهم ، ولم يستطع الافرنج ان يستولوا على المدينة لأن مقابلهم كان بستون الف مقاتل ، كذلك لم يستطع السلطان ان يدمر الافرنج الذين بدأوا يبنون البيوت والبيع للسبب نفسه ، وبلغ صلاح الدين ان ملك الالمان ( فريديريك الاول قصادم عن طريق القسطنطينية في مائتي الف فارس وراجل ، لكن اليونان لم يدعوه يغادر القسطنطينية ، فحاربهم وأخضعهم له فاجتازوا الى نواحي قونيه ، فجمع ابن السلطان جيوش التركمان وأخذ يناوشهم لكنه انكسر وهرب ، ثم وصل الافرنج ودخلوا المدينة وقتلوا أعداد كبيرة ، وكان بين القتلى ميخائيل حاكم ملطية المكنى بابا ، وأخيرا عقد معهم السلطان صلحا ، وفتحوا له باب القصب فمضى الى قيليقية ، وهناك أراد ملك الالمان ان يسبح في النهر ، وكان شيئا متقدما في السن فاخترق ومات ، ونقل ابنه جثته الى انطاكية وتابعوا سيرهم الى عكا .

في تلك الفترة خرج ملكان من ارض الافرنج ، فأخذوا قبرص من اليونانيين وأتيا الى عكا وشنا عليها حربا ، قتل فيها العديد من الناس حتى امتلات الاسواق من الجثث ، وأخيرا استولى عليها الافرنج وكان ذلك في اول تموز عام ١٥٠٢ يونانية ( ١١٩١ م ) وأراد الافرنج ان يعطوا الأتراك الذين بقوا في داخلها لصلاح الدين ، ويأخذوا مكانهم كل أسرى الافرنج الذين كانوا في دمشق ، لكن صلاح الدين رفض ذلك ، فغضب الملوك غضبا شديدا ، وأحرقوا كل الأسرى العرب ، فلما رأى صلاح الدين ذلك هدم يافا وأسوار عسقلان ، أما الافرنج فقد ملكوا قيسارية ، وقوي مركزهم وبنوا يافا ، ووضعوا فيها محارس ، ثم صدعوا وبنوا أسوار عسقلان أيضا ، ووضعوا فيها سكانا من شعبهم ، حينئذ جمع صلاح الدين جيشا وقرر ان يحارب الافرنج ، وكذلك خرج الافرنج من عكا ليواجهوا الأتراك فتقابل الجانبان استعدادا للمعركة ، لكنهم مالبثوا ان عقدوا صلحا في تشرين الاول سنة ١٥٠٤ يونانية ، لمدة ثلاث سنوات حيث أعطى

صلاح الدين الافرنج زهبا عوضا عن بناء سور عسقلان الجديد ، ثم عاد فهدم أسوارها كليا ، وأصبحت عسقلان مهجورة أما ملوك الافرنج فقد أقاموا في عكا واليا اسمه هنري ، وهو ابن أخت ملك الانكليز ورجعوا الى بلادهم ، وبنى صلاح الدين أسوار القدس بشكل قوي جدا أشد مما كان من قبل .

في هذا الزمان صار مجمع في دير مار برصوم قرر حرمان ابن تمسح وقد تعمم هذا القرار في كل البيع .

ولهذا الزمان لم يقبل أحد الكهنة أن يصير راعيا لرعية ماردين خوفا من الحاكم الذي كان يضطهدها ، فرسمت لها المعترف الرهاوي ، وكان حاضرا مار اثناسيوس مطران القدس ، لكنه هرب الى دير سيدنا مار برصوم ولم يشترك معي في سببته هذا الشقي ، وقد قبلته الرعية برحابة صدر في البداية ، لكنه سرعان ما افتضح امره بعد أن قام بأعمال مشينة لامجال لذكرها هنا ، فطردوه ، فقرر أن يعلن اسلامه فعرف الخلقيدونيون من أهل ملطية بذلك ، فأخذوه الى القسطنطينية وخلع ثياب الكهنوت وصار خلقيدونيا ، ثم عادوا فأرسلوه الى رعية الخلقيدونيين في ميفارقين ليكون لهم راعيا هناك ، أما نحن فقد أنهينا الهيكل الذي بدأنا في بنائه في دير سيدنا مار برصوم ، وقد استغرق معنا ذلك أربعة عشر عاما ، فقد بدأنا فيه كما ذكرنا سنة ١٤٩١ يونانية وانتهينا منه في هذه السنة أي عام ١٥٠٤ يونانية بنعمة الله ومعونة سيدنا القديس مار برصوم ، وجمعنا أساقفتنا يوم الأحد في ١٥ أيار ، وافتتحناه بنعمة الروح القدس ، وكان الجمع الذي أتى الى دير القديس أيضا هو الجمع الذي ذكرناه أنفا في قصة ابن وهبون الذي مات في هذا الزمان ، هو وجاثليق الأرض وعدد كبير معهم .

في سنة ١٥٠٤ يونانية مات - كما ذكرنا من قبل - جاثليق الأرمن غريغوريوس في قيلقية ، وكان ذلك في شهر تموز ، فرسم الأرمن ابن أخي الذي توفي جاثليقا ، وكان صبيا ودعي أيضا غريغوريوس وتكنى ديرا سو .

وفي هذه السنة مات ايضا بطريك انطاكية الافرنجي هنري وقد مات في قلعة القصير ، واحضروا جثمانه وقبروه في بيعة انطاكية الكبيرة ، وقد وجد عنده اثاث فاخر ومقتنيات كثيرة جدا ، وقد اقاموا موضعه أحد القسوس الشيوخ واسمه رنقل .

وبهذا الزمان ارسل إليّ ايوانيس بطريك الاسكندرية ومصر رسولا اسقفا شيخا اسمه بطرس ، واحضر لنا رسالة بالخط العربي واللغة العربية الفصحى ، يثبت اعتقاده بالامانة المستقيمة المجد وتتضمن محبة وصداقة.

في سنة ١٥٠٦ يونانية حين ابتدأت حروب الترك ، انتشرت المجاعة حتى اكل الناس جثث الاموات من البشر والحيوانات ، وقد باع عدد كبير من الناس اولادهم ، وفي بلاد شبختان فقط ناهيك عن البلاد الأخرى بيع الاف من الصبيان والصبايا ، وفي دانيث بيع اثنان وعشرين الفا وكلهم مضوا عبيدا الى بابل ، وحتى هذه السنة التي هي سنة ١٥٠٦ يونانية ( ١١٩٥ م ) بقي الجراد يأكل في كل سنة الزرع والكروم من حدود مصر الى بلاد الترك ، ومن فارس الى بحر بنطس ، وصار سعر الكيل الكبير من الحنطة في ملطية بستة عشر دينارا سلطانيا.

وفي هذه السنة اي سنة ١٥٠٦ يونانية امر حاكم الرها الملك العادل بابطال الناقوس في بيع الرها ، وقد اغتم المسيحيون جدا ، الله يرحم.

## وفاة السلطان قلعج أرسلان

أما السلطان قلعج أرسلان فعندما بلغ الشيخوخة وزع بلاده على أولاده لكنهم كانوا أولادا عاقين ، فبقي عاجزا يتنقل من مكان الى مكان فأشفق عليه أهل قونيه ، فأحضره الى كرسيه السالف فيها ، لكن ابنه قطب الدين ، وكان حاكمها رفض استقبال أبيه ، فقام غياث الدين أخوه وصاحب مدينة بروغلو بانتزاع هذه المدينة ، ثم زحف الوالد والابن الى أقصرا ، فمرض الأب قلعج أرسلان فنقله ابنه غياث الدين الى قونيه ، فتوفي ودفن هناك ، ودام ملك قلعج أرسلان ثمان وثلاثين سنة ، وخلف من سلالته اثني عشر ملكا .

## وفاة صلاح الدين وماتلاه من أحداث

وفي سنة ١٥٠٤ يونانية مات أيضا السلطان صلاح الدين في دمشق ، وكان له ثلاثة وعشرون ابنا ، وقد وضع قبل موته ابنه الكبير بدمشق وسماه رئيسا على الجميع ، والثاني ملكه على مصر والثالث على حلب ، وهؤلاء الثلاثة كل واحد منهم كان يدعي سلطانا ، ثم وزع على الآخرين بقية مملكته ، ومضى كل واحد الى بلده ، كذلك أعطى اخاه الملك العادل - وكان يسمى أيضا سلطانا - حران والرها وميفارقين ، وسميساط وقلعة جعبر والكرك والشوبك .

ثم خرج حاكم الموصل واتفق معه اخوته حكام سنجار والجزيرة وحاكم ماردين أيضا وأتوا الى قرب حران ليحاربوا الملك العادل ويأخذوا منه بلادهم ، فجمع هو جيشا وأتى للقائهم ، لكن حاكم الموصل مرض فجأة وحل على نصيبين ، وعند ذلك خافوا فعادوا تحت طاعته كما كانوا مع أخيه ، فرد لهم الخابور ، واصطلحوا ومضى هو ليملك على الأرمن ، لكنه لم يستطع فرجع خائبا .

اما عز الدين حاكم الموصل فقد مات وملك بعده ابنه نور الدين اما لاون حاكم قليقية فقد أمسك البرنس بوهيموند حاكم أنطاكية وعذبه كثيرا ، وجازاه كما كان قد وضع بروفين أخي لاون ، حينئذ اتى الوالي هنري من عكا واعتقه ورجع لأنطاكية .

اما لاون فقد قوي بعد موت السلطان قلع أرسلان ، فاحتل في بلاد الروم اثنتان وسبعين قلعة ، أخذها من الاتراك واليونانيين ، وكان دائما منتصرا ، فأخذ اولاد السلطان يحتمون به .

عندما خرج اخي المطران مار اثناسيوس من القدس بعد خرابها  
اتى الى دير سيدنا مار برصوم ، فأرسلته عوضاً عني ويسبب  
شيخوختي الى انطاكية ، فاستقبلوه كالمالك واحبه الجميع ، وبقي  
هناك سنتين ، ثم توفي وكان ذلك يوم الخميس ٢١ تشرين الاول  
عام ١٥٠٤ يونانية وسجى جسده في دير داوود عند قبر ماريوحنا  
البطريك ، ليرحمه الله ، أما القدس فارتسم عليها  
اغناطيوس ، أي الشهيد رئيس ديرها .

وفي كانون توفي ديونوسيوس مطران ملطية وقام مكانه اياونيس  
مطران قيسارية أي ابن قنون .

وفي تشرين سنة ١٥٠٥ يونانية اتى الينا في دير ماربرصوم  
غريغوريوس المغيريان ومعه الاساقفة الأربعة الذين في  
ابرسيتيه ، ثبتوا عهدهم الناموسي مع ابيهم الروحاني ، ولما رجعوا  
الى كراسيهم حرموا الشيطان ابن تمسح ، وكان هذا قد قال  
للحاكم : إن المغيريان هرب ولن يأتي بعد ، لذلك عندما رجع الاساقفة  
حرموه ونبذوه ، وكذلك نبذ الشعب المؤمن ، ولما وصل المغيريان  
استقبله الحاكم بترحاب ، وكل واحد فرح به .

وفي هذه السنة ارسل لاون حاكم قيليقية وسرق قلعة الروم واخذ  
الجاتليق الصبي ، ولما انكشفت أفعاله حرمه اساقفة الأرمن ، وقد  
وضع لاون الجاتليق في السجن في قلعه تدعى غوبيدره وقد حاول ذلك  
الشقي أن يهرب فسقطت عليه صخرة ومات ، وقد خزي الأرمن  
بهذا العمل .

بعد ذلك رسموا لهم جاتليقا هو ابن عم الشيخ المسمى ابييرد  
ودعي ريخوروس .

كمل هذا على يد الخاطيء الشقي العاجز الكسلان العبد  
المظلوم ، وارجوا منكم العفو يا اخوتي واباني عن كل نقص صنعته  
يداي .

- ٢٢٥٢ -

انتهى تاريخ ميخائيل السرياني في كانون الأول ( ١٥٠٦ )  
يونانية ( ١١٩٥ م ) بالخبر التالي في كانون الأول عام ١٥٠٦  
يونانية ( ١١٩٥ م ) مضى حاكم أبلستين الى لاون ، وقدم له  
الطاعة ، ثم مضى لاون الى حاكم قيسارية وانتصر عليه واغتصب  
منه قلعة قرب قيسارية .